

تعريف بكتاب: "مثنويّ العقل والعشق"

(للسّاعر ذكّ اللسانين محمّد خاقانيّ أصفهانيّ)

الدكتورة گل افروز محبّيّ

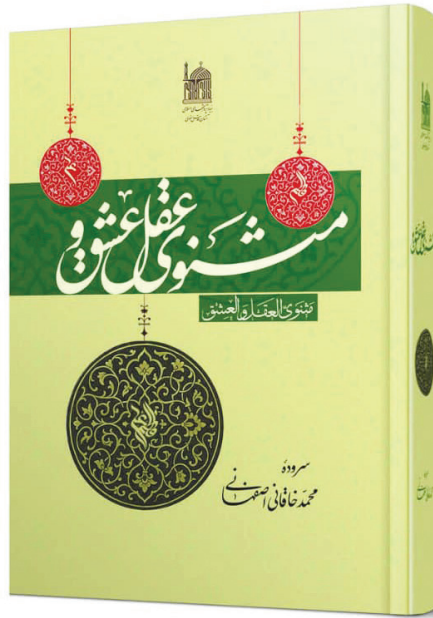
ا- نبذة تعريفية:

«مثنويّ العقل والعشق» مسرحية شعريّة مزدوجة اللغة (فارسيّة/عربيّة) تشمل ٥ مقاطع و٦٣ مشهداً في ١٠٣٤ بيتاً. تبدأ القصة في هذه المسرحيّة بدعوة السيد العقل والسيدة العشق ليلتقيا أمام حضرة الوحي، كما يُدعى كبار أتباع الفريقين للحضور في اجتماع خياليّ في ١٤ محوراً لتتسنى الفرصة لكل منهما الدفاع عن معتقداته وآرائه. المثنوي يبدأ بهذه الأبيات:

بات قلبي للحكايا محفلا
تا سحر جولانگه أحرار شد
بات نوراً بعد ما حلّ الغرام
ديشب امّا جلوه گاه نور بود
وانجلت روحي بقلب مستتير
گل شكفت و جان من پروانه شد

بات عقلي للشكايا محملا
دوش اين دل محرم أسرار شد
كان قلبي مكفهرّاً في الظلام
پيشتر... اين خانه سوت و كور بود
استضاء البيت بالربّ المنير
خانه از لطف خدا گلخانه شد

(١) دكتورة في الأدب العربيّ من جامعة كاشان - إيران golafrooz4519908401@gmail.com



يوصل سناريو هذه المسرحية مسيرته عبر أحداث، منها: التعريف بحضرة الوحي والسيد العقل والسيدة العشق بكشف اللثام عنهم وأحداث أخرى. تنتهي هذه المسرحية إلا أنّ القصة غير منتهية، وأحيل إتمام القصة إلى كلّ قارئ أن يشترك مع الشاعر في تكملة هذا السناريو بمراجعة ذاته وسيرته الذاتية وتجربته الشخصية.

وهذه أبيات في ختام المثنوي:

فانتهدت بعد اللّتيّ والتي
خود بخواهد از دلّ خود حرفِ راست
عند بعلِ العقل؟ أم تبغي الفصال؟
مى كند سرّ؟ يا طلاق آيد به پيش؟
تمّوها يا رفاقي! والسلام
خود نمايدش تمام و والسلام

يا رفاقي! فگروا في قصّتي
دوستان! نك نوبت كار شماست
هل عروس العشق فيكم بالوصال؟
نوعروس عشقتان با مرد خویش
قصّتي؟...لا...لم تمل حدّ التمام
دوستان! اين داستان شد ناتمام

٢- نظرة على المقاطع الخمسة لهذه المسرحية الشعرية:

المقطع الأول: لقاء العقل والمحبة في حضرة الودع:

بيت قلبي، أصبح مكاناً للأسرار الليلة الماضية، ومكاناً للحرية حتى الفجر. وسافر المثنوي وسافر حتى وصل إلى خاقاني، وظهرت فيه قصة الحكمة والحب. بالأمس، بينما كنت مستلقياً على سريري، وصل ثلاثة ضيوف تدريجياً إلى منزلي. أولاً جاء العقل في صورة رجل طويل، ثم جاء الحب في صورة فتاة ذات قوام جميل، وأخيراً جاء نبي الوحي، ولم يكن واضحاً هل هو رجل أم امرأة، لم يكن هناك إلا النور والنور. ومع نشر خبر لقاء السيد العقل والسيدة الحب في حضرة الوحي في العالم السماوي، جاءت أرواح الرجال العظماء من العقل والحب في تاريخ البشرية إلى الأرض وأسست المدينة الحمراء والزرقاء في قلبي. كان سقراط وأبقراط، وكونفوشيوس وبطليموس، وبعلي وأرسطو، والسهروردي وأفلاطون، وملا صدرا وبوزار جهمهر، ورامبود ونقيسا، وبهتري وسعدي، وكانط والشيخ بهائي، وماني وكمال الملك، وبابا طاهر وبايزيد بسطامي، والحلاج ومحيي الدين، وغوته وحافظ، والجامي وابن فريد، وغاليليو وخواجه ناصر الدين الطوسي، وإرمايي وبيتهوفن، وبلزك وجبران، وشكسبير ورومي، وجون ميلتون وأبو العلاء المعري، وعمار وأينشتاين، دافئين وودودين. بدأت جلسة المناظرة بين جيشي العقل والمحبة (الشهرورد الأحمر والأزرق) باسم الله وبحضور سماحة الوحي. وقد تقرر أن السيد العقل والسيدة الحب سوف يظلان صامتين، وأولئك الذين يزعمون أنهم يتبعونهما سوف يرفعون دعوى قضائية.

المقطع الثاني: شكواي الحكماء وحكايات العشاق

ممثلو جبهتي العقل والحب يناقشون ١٤ قضية مثيرة للجدل:

(أرسطو مع حافظ: الأولوية والتأخير في الخلق)، (ابن رشد مع ابن فريد: العقل والقلب في القرآن الكريم)، (رينيه ديكارت مع جلال الدين الرومي: سمو الدماغ ومركزية القلب في جسم الإنسان)، (ألبرت أينشتاين مع عطار النيشابوري: الانبساط

والانطواء)، (الحاج الملا هادي السبزواري مع بروين اعتصامي: الأبوية والنسوية)، أبو علي سينا مع الشيخ بهائي: التعليم والتطهير)، (الشيخ مفيد مع بابا طاهر: الانفصال والاتصال)، (فيثاغورس مع الجامي: التعدد والوحدة)، (واصل ابن عطاء مع أبي الحسن الأشعري: المقارنة والتشبيه)، (سيبويه مع الجرجاني: التواطؤ والشك)، (بوذا مع عمر الخيام: المعاناة واللذة)، (باروخ سبينوزا مع جان بول سارتر: (الحتمية والحرية)، (ستيفن هوكينج مع تشارلي شابلن: العلم والفن)، و(سردار سليمان مع أنتوني كوين: الحقيقة واللعب).

المقطع الثالث: مصالحة أتباع العقل والعشيق من خلال الودع:

وبينما يفقد الجمهور رباطة جأشه، تنشأ ضجة مفاجئة، ويقدم رجل عجوز نفسه باعتباره المتحدث باسم الكشف. وهو الإمام الخميني العظيم، وهو الذي يعلن حكم وقضاء الوحي في محاور الخلاف الأربعة عشر بين العقلاء والمحبين. ينتقد الخميني الكبير العداء بين المدافعين عن العقل والحب، ويصور الخلاف بين المدافعين عن العقل والحب على أنه خلاف على الكلمات (واللاواقع)، ويؤكد على آلية الحوار. ويشير إلى أن جزءاً من الجدل بين أنصار العقل والحب ينبع من الخلط بين الشهوة والحب. في رأيه؛ مع أن العقل هو الخلق الأول لله، فهو مدين أيضاً للحب، لأن الخلق هو مظهر من مظاهر رحمة الله، والرحمة هي الحب.

المقطع الرابع: أحكام الودع:

١. العقل هو أول خلق الله وحجته على البشر. ولكن حتى خلق العقل مدين للرحمة الإلهية. الحب هو (الوجود) والعقل هو (الظهور).
٢. نصف القرآن يركز على العقل والنصف الآخر يركز على الحب. ينبغي أن نرى كلاهما معاً.
٣. العقل في أعلى الجسد ليكون حارساً جيداً، بينما القلب في مركز الجسد ونقطة البوصلة.

٤. لقد خلق الله العقل والحب لغرض. العقل من أجل الانفتاح والحب من أجل الانطواء.
٥. الرجولة رمز لعظمة الله تعالى، والأنوثة مظهر من مظاهر جمال الله.
٦. يتطلب التعليم الرغبة في الوفرة، ويتطلب التطهير بذل الجهد لتقليل طبيعة القيم الشريرة.
٧. الفصل هو الوسيلة لتمييز الحق من الباطل والأشياء بعضها عن بعض. إن الارتباط هو أيضاً معنى كل عاشق في الاتصال بحبيبه.
٨. إن مدار الخلق مبني على الكثرة والعدد. لكن كل عدد هو مضاعف للواحد ويمثل الوحدة.
- ٩- إن حكم العقل في تمييز الله عن صفات المخلوقين، وحكم المحبة في تشبيه الله بالمخلوقين، صحيحان ومتطابقان. وفي تسبيحة فاطمة الزهراء (عليها السلام) التكبير والتسبيح هما مصدر التنزيه، والتحميد هو تفسير التشبيه.
١٠. إن الفصل الخاص بتطهير الأشياء يتفق مع التواطؤ. وفي الوقت نفسه، يظل الكون عرضة للشك ودرجات متفاوتة من عدم اليقين.
١١. إن قانون الوحي هو مزيج من المعاناة واللذة: إن مع الشدة يسرا.
١٢. الإنسان مجبر على أن يكون حراً. علينا أن نسعى إلى الانتقال من سيطرة الإرادة الحرة إلى سيطرة الإرادة الحرة، وأن نوكل عملنا إلى الله.
١٣. العلم هو الأداة للسيطرة على الكون، والفن هو ممارسة الإبداع والتقوى. كلاهما قيم إلهية.
١٤. لقد جعل الله الحياة الدنيا لعباً ولهواً، ولكن وراء كواليس هذه اللعبة تكمن الحقيقة العظمى.

المقطع الخامس: النهاية التي لا نهاية لها

الحدث الأكبر في القصة يحدث هنا:

يتم الكشف عن الوجوه الثلاثة للعقل والحب والوحي التي كانت محور هذا

المثنوي. ومن المدهش أن السيد العقل هو الإمام علي (ع)، والسيدة العشق فاطمة الزهراء (ع)، والوحي الأعظم سيد المرسلين (ع). يتبين أن في علي العقل خارجي والحب داخلي، وفي الزهراء الحب خارجي والعقل داخلي. يسود الضجيج المجلس، وتطلب وحي الإذن من سيدة العشق أن يزوجها للسيد عقل، وبهذه الطريقة يصبح رمز العقل والحب حميمًا مع بعضهما البعض. ويصبح هذا السر أساسًا للمصالحة بين المدافعين عن العقل والحب، وهو يؤلم قلب الشيطان. ومن ملتقى بحري العقل والحب يخرج اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين، والثوب الذي يجمع هذه الأضواء الخمسة المقدسة تحته يرمز إلى اتحاد العقل والحب. إن التقاء البحرين يشكل مصدرًا للوفرة يوفر اللؤلؤ والمرجان بكثرة للمجتمع البشري في أي وقت وفي أي مكان. إن لؤلؤة ومرجان عصرنا، من نسل هذه العائلة المقدسة، هما الإمام الخميني (حفظه الله) والإمام الخامنّي (حفظه الله)، اللذان يجسدان معنى ولاية الكوثر في عصرنا. وهنا يطلب القلب من الوحي أن يقدم بعض النصائح من أجل استمرار المصالحة بين المدافعين عن العقل والمحبة، ويؤكد الوحي أن العقل والمحبة كانا زوجين منذ الأزل، وأن الفرق بين أتباع العقل والمحبة كان إغراءً من الشيطان.

يتحول منتصف الليل إلى فجر، ومع هذه النصيحة، يعود الوحي، والعقل، والحب، مع أرواح أتباعهم، إلى العالم العلوي. في هذه النهاية التي لا تنتهي، يريد قلبي أن يسأل أصدقائه أنفسهم: هل سيبقى عشاقهم مع أزواجهم أم سينفصلون؟ وبهذا السؤال تبقى قصة هذا المثنوي غير مكتملة حتى يكملها كل قارئ لهذا المثنوي بجواب خاص به.

٣- مثنوي: العقل والعشق؛ إنجاز أدبيّ فريد من نوعه:

أتصور أن مسرحية شعريّة بهذا الشكل لم يسبق لها مثيل لا في الأدب الفارسي ولا في سائر الآداب العالمية بحسب معرفتي.

هذا الأثر الأدبي فريد من جوانب مختلفة، منها:

الثنائية الكبرى (العقل/العشق) شامل لمجموعة من الصراعات والسجلات الفكرية: إنه ظهر ليقدم حلاً لأحد أهم الصراعات الفكرية في تاريخ البشر، ألا وهو الصراع بين العقل والعاطفة، وبين أتباع العقل (الفلاسفة) وأصحاب العشق (العرفاء والصوفية من جانب، والفنّانين من جانب آخر). وهو لا شك صراع قديم جداً ظهر في جمّ غفير من الكتب العلمية (أهمها كتاب الأسفار للفيلسوف الكبير صدر المتألهين الشيرازي) وفي بعض الآثار الشعرية والأدبية في مختلف الآداب العالمية، إنه يشمل جدليات كالوحدة والكثرة، الرجولة والأنوثة، الجبر والتفويض، اللذة والمعاناة، الجدّ واللعب و.....

ثنائية الصوت والصورة: هذا المثنوي فريد في أنه في محاولة لحلّ ثنائية العقل والعاطفة تمظهر في عدّة ثنائيات لاتجدونها في أي أثر أدبيّ أو كتاب فلسفي أو سايكولوجيّ آخر، منها: **ثنائية الشعر والمسرح** (الموسيقى الصوتيّ والفنّ البصريّ). فهو كتاب يعالج ثنائية فكرية في المحتوى والمضمون، بتقديم ثنائية حسية في الشكل والقالب.

ثنائية اللغة: شاء الله تعالى شأنه أن يظهر هذا المثنوي باللغتين العربية والفارسية. فالعربية لغة القرآن الكريم والثقافة الإسلامية، والفارسية لغة الحبّ والعاطفة والعرفان ادّخر فيها أعمال أدبية عالمية كبيرة كالمثنوي المعنوي لجلال الدين الرومي وآثار الحافظ الشيرازي والسعدي والفردوسي. فظهر هذا المثنوي كهزمة وصل تربط بين اثنتين من أهم اللغات العالمية والإسلامية. تسهم هذه الثنائية في تعليم الفارسية للعرب وتعليم العربية للفرس في مسار أدبي خلاب. كما تسهم في دراسات مقارنة في مجال الترجمة الأدبية. وقد وقع اختيار الشاعر على بحر الرمل المحذوف (فاعلاتن فاعلاتن) للشطرين العربي والفارسي من هذا المثنوي، لأنه بحر سلس أقرب إلى العاطفة من أي بحر آخر في الأدبين العربي والفارسي.

ثنائية القالب الشعري: كان بوسع الشاعر أن ينظم هذا المثنوي في قالب القصيدة المقفاة. لكنّه فضّل قالب المثنوي (القصيدة المزدوجة أو المشطّرة في العروض العربي)

حتى يكون مصراعا كل بيت بقافية واحدة، و يكون تأكيدا آخر على معالجة الثنائيات في قالب ثنائي هو (المثنوي).

تجربة حياة، أكثر من يكون تفنُّنا أدبيًّا: لم يصدر من الشاعر «مثنوي العقل والعشق» كتفنُّن أدبي، بل ظهر كتعبير صادق من تجربة حياته بأجمعها. فقد قضى كلَّ عمره في معالجة ثنائيات عاشها وتعامل معها منذ عنفوان شبابه، ومن دلائل صدقه في هذا المجال أنه ألَّف أحد أهم كتبه بعنوان: «أمر بين أمرين: ثنائيات الإنسان والكون»، عنيت بطبعه في بيروت دار الهادي في مجلد ضخم (٦١٠ صفحة) مرتين.

تفسير جديد عن حديث أصحاب الكساء (ع): أهم ما تجدونه في هذا المثنوي أنه أرمز لسيدتنا فاطمة الزهراء (س) بالسيدة العشق ولمولانا علي أمير المؤمنين (ع) بالسيد العقل وللنبي المصطفى (ص) بحضرة الوحي، وتمت مساجلات أصحاب الفكر والفنَّ أمام هؤلاء الثلاثة وفي أواخر المسرحية تم كشف القناع من هذه الوجوه الطيبة، و أكد المثنوي على أن الحل السليم الوحيد في هذه الصراعات تنحصر في الرجوع إلى الله ورسوله ((فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله ورسوله)). صدق الله العليَّ العظيم.

٤- سبب نظم المثنوي باللغتين الفارسية والعربية:

بعد الانتهاء من نظم المثنوي بالفارسية، تلقى الشاعر طلبات من زملائه العرب من مختلف البلدان العربية بنقله إلى العربية لنشره في الأوساط العربية، فانكبَّ عليه لترجمته وفضل أن تكون ترجمة المثنوي الفارسي إلى العربية على البحر نفسه الذي نظم المثنوي الفارسي عليه، وهو بحر الرَّمْل المحذوف (فاعلاتن فاعلاتن فاعلن). وهو الوزن الذي أنشد عليه مولانا جلال الدين الرومي مثنويه الفارسي. أتصور أن نقل مثنوي العقل والعشق من الفارسية إلى العربية بواسطة شاعر واحد يكون ناظما و مترجما في نفس الوقت، هذا أيضا من فرائد الشعر الحاضر وليس له مثل في تاريخ

الأدب حسب علمي.

علمًا أنّ هذه الترجمة من نوع الترجمة الحرّة وكلّ بيت عربي (في العمود الأيمن) يحمل الفحوى العام للبيت الفارسي (في العمود الأيسر). لأنّ نقل معاني الأبيات الفارسية إلى الشعر العربي بمعانيها الحرفية عملية مستبعدة إن لم تكن مستحيلة، ودليل الاستحالة وجود الاختلافات الثقافية والاجتماعية والتاريخية بين العرب والفرس إضافة إلى إشكالية الوزن والقافية والتي تجعل الترجمة الحرفية أمرًا صعبًا مستصعبًا. على أمل أن يفيد هذا المثنويّ القارئ العربي والفارسي في التلخص من جدلية العقل والعشق الكاذبة. أفيد القارئ الكريم أن نظم المثنويّ الفارسي استغرق ثلاثة أشهر ونقله إلى الشعر العربي استغرق شهرين.

٥- "مثنويّ العقل والعشق" يتجاوز الحدود:

بعد نشر هذا المثنوي في مجموعات افتراضية قوبل بحفاوة واهتمام كبير من القراء، تظهر بعض أبعادها في ما يلي:

المثنويّ في: محطة أندونيسيا:

أقامت جامعة سونان كاليجاكا الحكومية الإسلاميّة في أندونيسيا للتعريف بالمثنوي ونقده ندوة دولية أدبية^(١) بحضور ٦٠ أستاذًا وشاعرًا عربيًا حاضر فيه الأستاذ الدكتور محمد جمال صقر أستاذ جامعة القاهرة بمصر، والأستاذة الدكتورة وسام علي الخالدي من جامعة الكوفة بالعراق.

من كلمة الأستاذ الدكتور طهر في هذه الندوة:

«هذا الكتاب دعوة حريصة، «حريص عليكم»، هذه كلمة قرآنية «حريص عليكم»، وبها صدرت الكتب «حريص عليكم»؛ فهذا الرجل حريص علينا، يدعونا إلى التأليف بين ما لا انفصال له من حال الإنسان؛ كيف يفصل الإنسان بين العقل والعشق، أي بين الجسد والروح، كما أوّلْتُ؛

(1)- <https://youtu.be/Cy4BJJsPrJ4?si=QL9TMrFX8XxFroG7>

العقل الجسد والعشق الروح. وقد ادعيت له من قبل في كلمتي التي ذيل بها كتابه أن التأليف بين الجسد والروح رسالة الأنبياء على مدار الزمان، كلما ابتعد ما بينهما أرسل ربنا سبحانه رسولا أو نبيا ليعيد وصل ما انفصل وتأليف ما افترق. والحقيقة أنها أزممتنا الحاضرة؛ ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب، ويأتي أثره وعناية الناس به من أنه كتاب الوقت، واجب الوقت. ولن أنبه منتبها على ما نعيشه هذه الأيام فيما يخص أمتنا الإسلامية على وجه العموم، وما يخص إيران على وجه الخصوص، وفلسطين كذلك، وماذا أحدد، ماذا آخذ، وماذا أدع!

ومن كلمة الأستاذة الدكتورة وسام علي الخالدي عن مثنوي العقل والعشق:

«لقد واجه خاقاني أسئلة العصر، وأعاد طرحها على خشبة الشعر، فأصبح النصّ ليس مجرد تعبير عن صراع، بل مشاركة في صناعته، ودعوة لتجاوزه. وفي عالمنا اليوم، الذي كثرت فيه التجزئة والقطيعة، وقّل فيه التأمل، تبدو الحاجة ماسة لمثل هذا الصوت، الذي يذكّرنا أن المعرفة لا تثمر بلا محبة، وأن العشق بلا عقل يُضل الطريق».

ترجمات المثنوي:

ما تم نشر ملفّ هذا المثنوي على مجموعات افتراضية حتى انكبّ بعض قرائه بترجمته إلى لغات عدة، منها الانكليزية والفرنسية والمالايوية والأندونيسية.

تعليقات كبار الأساتذة والشعراء على مثنوي العقل والعشق:

قام بعض كبار الأساتذة والشعراء العرب والفرس من مختلف بلدان العالم بكتابة تعليقات وتقریظات على هذا المثنوي الفريد تجاوز ٦٠ نقدا وتعليقا جميعهم أكدوا على فريدة هذا الإنجاز الأدبي في عالم الأدب. ويتمّ نشر التعليقات في الكتاب الورقي بإذنه تعالى.

الكتاب الصوتي للمثنوي بالعربية والفارسية:

بدأ فريق فني فارسي وآخر عربيّ بنقل أبيات المثنوي في ملفات صوتية ليتمّ إصدار

الكتاب الصوتي إلى جانب الكتاب الورقي.
نرجو لهذا الإنجاز الأدبي النجاح في توسيع آثاره الأدبيّة والثقافيّة على القراء من
مختلف لغات العالم، ليصبح هذا الأثر حلقة وصل بين أبناء الأمة الإسلاميّة.